الذات العربية المسلمة وصورة الآخر المختلف دينيا وثقافيا
دراسة تحليلية نقدية لأسباب وأشكال التعصب السياسي والاجتماعي في العراق

د.دهام محمد العزاوي
مدير عام التعاون الدولي/ وزارة التخطيط
dhaam3@yahoo.com

تاريخ الاستلام: ٢٠١٩/٣/٢٨ تاريخ قبول النشر: ٢٠١٩/٦/٢٠ تاريخ النشر: ٢٠٢٠/٦/٣٠

الملخص:

يرمي هذا البحث الى تحليل الارتداد الفكري والحضاري الذي أصاب المجتمع العراقي والعربي بسبب الاستبداد السياسي والديني والنزاعات الداخلية والذي انعكس في تردي قيم حقوق الانسان وغياب المساواة والعدالة في التعامل مع الاخر المختلف دينيا مماأثر في نفور أبناء الجماعات الدينية عن التفاعل مع مجتمعاتها الوطنية ومن ثم الهجرة الى الخارج الامر الذي ساهم في خسارة مضاعفة ، لجهة فقدان تلك المجتمعات لكفاءات وطنية منتجة وفاعلة ولجهة تشويه صورة الاسلام . وقد شدد البحث على ان اول معالجات هذه الظاهرة المتخلفة هي بترسيخ قيم المواطنة والمساواة وحكم القانون عبر مناهج التربية والتعليم وترشيد الخطاب السياسي والاعلامي والديني والثقافي الذي يستهدف بناء دولة القانون والمواطنة والعدالة بعيدا عن أي خلفيات اجتماعيةأخرى .

The Muslim Arab Self and the image of the other, religiously and culturally different: a critical analytical study of the causes and forms of political and social intolerance in Iraq

Dr.Dham Mohammed Al-Azzawi
Director General of International Cooperation / Ministry of Planning

Abstract :

This research aims to analyze the intellectual and civilizational regression that afflicted Iraqi and Arab society due to political and religious tyranny and internal conflicts, which was reflected in the deterioration of human rights values and the absence of equality and justice in dealing with the other

religiously, which affected the reluctance of members of religious groups to interact with their national societies and then migrate to Outside, which contributed to a double loss, in terms of the loss of these societies by productive and effective national competencies, and in terms of distorting the image of Islam. The research stressed that the first treatments of this phenomenon are the consolidation of the values of citizenship, equality and the rule of law through educational curricula and rationalization of political, media, religious and cultural speech that aims to build a state of law, citizenship and justice away from any other social backgrounds.

المقدمة

في لقاء تلفزيوني صريح ، على قناة الشرقية في ١٠-١١-٢٠١٧، سرد الشاعر العراقي الكبير عبد الرزاق عبد الواحد ، صورة من صور المعاناة التي واجهها بوصفه انسانا غير مسلم (صابئي) يعيش في مجتمع مسلم ظلت ومازالت فيه صورة غير المسلم مشوهة اجتماعيا وثقافيا واستمر التعاطي الاجتماعي يستند الى تفسيرات واجتهادات فقهية تاريخية مزيفة شتت عقلية العربي المسلم وقيدت نظرته للعالم المحيط به حتى غدا العربي المسلم في وطنه متخلفا عن ركب الحضارة الانسانية التي يتسارع خطاها يوميا عبر ملتقيات اممية لتوحيد خطابها القانوني والانساني حيال مشكلات الانسان وتحديات وجوده حيثما كان وفي أي بلد كان ومن اي حضارة كان . وفي ذلك اللقاء يروي شاعرنا الكبير انه في مطلع خمسينيات القرن العشرين حيث كان طالبا في الابتدائية كان لايسمح له بحضور مادة درس الاسلامية وكيف انه وفي احد الدروس قام معلم الاسلامية بطرده مع صديقه اليهودي من المحاضرة على اعتبار انها خاصة باطفال المسلمين ، وبعد ان رفض الخروج من الصف نهره الاستاذ وجره جرا الى خارج الدرس ، فآثر ذلك في نفسه فما كان منه الا ان أمسك جزءا من القران (جزء عم) ، وبدأ يقرأ بصوت عال في ساحة المدرسة ليسمع استاذ التربية الاسلامية ، فما كان من الاستاذ الا ان جاء مسرعا اليه لياخذ منه جزء القران ويتله بقوة ويصيح : ايها النجس

كيف تتجرأ على مسك القران وانت صابئي . في ذلك اللقاء التلفزيوني لم تظهر على شاعرنا الكبير علامات التأثر بتلك الحادثة ربما لأن تاريخها طويل ويعود لسنوات طويلة خلت او ربما لأنها كثيرة الحدوث في مجتمع الف العنصرية ضد الآخر المختلف دينيا ، أو لأن شاعرنا كبير في معاني الانسانية والوطنية التي يحملها فتجاهل هذه الحادثة وبقي كما غيره من ابناء جلدته يتوقون للعيش في بيئة أحبوها وألفوها على الرغم من عنصريتها المقيتة في أحيان كثيرة .

فرضية البحث :

ان هذا البحث ينطلق من فرضية مفادها ان صورة الآخر غير المسلم في الذاكرة الجمعية للمجتمع العربي المسلم أصابها العطب وهي مشوهة بفعل التنشئة الاجتماعية الخاطئة للأسرة المسلمة وبسبب التفسيرات المتطرفة لنصوص الدين من رجال منغلقين وبفعل عدم الاستقرار السياسي والانقلابات التي مرت بالكثير من البلاد العربية منذ استقلالها والتي لم تعطي الفرصة لخلق نموذج وطني تنموي حداثوي يتعايش في ظله جميع المواطنين ، الامر الذي انعكس في فقدان فكرة التعايش داخل المجتمعات العربية المسلمة واظهار ان تلك المجتمعات لا تألف التعايش ولا تطمح للاستقرار المجتمعي مما ولد مزيدا من الاحتقان السياسي والكراهية المجتمعية والتدخلات الخارجية وهجرة متصاعدة للجماعات الدينية من بلداننا العربية .

اشكالية البحث :

ان هذا البحث معني بالاجابة عن سر تبدل مفاهيم وقيم المجتمع العربي الاسلامي في النظرة الى الانسان المختلف عنه ، بعد ان كان هذا المجتمع يشكل حالة مثالية في التعايش بين اتباع الديانات المختلفة ، وكانت الكثير من البلدان العربية كالمغرب وتونس ومصر وسوريا والعراق وفلسطين مستوطنا لكثير من الجاليات والاقليات الدينية كاليهود والنصارى والصابئة والمجوس والايزيديين حيث استوطنت في هذه البلدان طلبا للرزق والامان وهربا من ظروف القتل والتشرد والسبي التي تعرضوا لها في اوربا وبلاد آسيوية اخرى . ان الاشكالية التي يمكن طرحها في هذا البحث تتمثل بالآتي :

- هل قرون القطيعة العربية والاسلامية مع المعرفة والتحضر واندثار التعاطي مع قيم الاسلام الحقيقية بسبب دخول العرب المسلمين في عصور الظلام والتخلف كانت سببا في نمو الافكار العنصرية والنظرة المتدنية حيال الآخر؟.

- وهل سياسات الولايات المتحدة والقوى الغربية المنحازة الى اسرائيل ومافعله الاحتلال الامريكي للعراق ٢٠٠٣ ، من ممارسات قتل وتهجير وتعذيب ضد الشعب العراقي ، قد انعكست في تغير نظرة المجتمعات العربية والاسلامية الى الاقليات غير المسلمة المتعايشة في تلك المجتمعات واعتبارها ادوات مساندة لأمريكا والغرب واسرائيل؟

- وهل النظرة المتدنية وسلوكيات التحيز ضد الآخر غير المسلم هي جزء من تراتبية اجتماعية سلبية تعانيها عموم فئات المجتمع العربي الاسلامي لاتشمل الجماعات الدينية وانما فئات اجتماعية اخرى انعكست في تصورات ثابتة تقوم على التهكم والازدراء الثقافي والمناطقي بين ابناء البلد الواحد ؟ ففي العراق هناك قوالب نمطية ثقافية سلبية تقوم على اساس مناطقي وجهوي ولم تتغير بين العراقيين ، فابن الموصل في العراق يلمز بالبخل وابن محافظة الناصرية بالخيانة وابن البصرة بالكرم وخفة الدم والكردي بالغباء والعربي من محافظة الانبار وخصوصا من عشيرة الدليم بالغباء أيضا.

منهجية البحث :

يستند البحث الى المنهج التحليلي الذي يحلل الظواهر المجتمعية والسياسية حيال الآخر وانعكاسها على الاستقرار السياسي والاجتماعي للمجتمع العربي والعراقي وينطلق هذا المنهج في تفسير ان الانحياز والنظرة السلبية التي بات يحملها العربي المسلم حيال ابناء الديانات الاخرى لاتتعلق باساليب التنشئة الاجتماعية التي تمارسها النظم السياسية تربويا واعلاميا وايدلوجيا فحسب ، وانما تتعلق كذلك بدور الاسرة في التربية على مفاهيم دينية واجتماعية وسياسية خاطئة تحفز على الكراهية والعنصرية حيال الاخر المختلف ، ويمكن تلمس ذلك في بعض اساليب التنشئة والتعليم التي تصر على انتهاجها بعض الحكومات العربية مثل فصل الطلاب غير المسلمين عن

الطلاب المسلمين في مادة التربية الاسلامية وهو مايدفع اولئك الى الانجرار وراء الخطاب السياسي والاعلامي الذي يشوه المنظومة الاسلامية ويصفها بالانغلاق والارهاب ، كما ان عدم تمكين الطلاب المسلمين من التعرف على ديانات زملائهم من غير المسلمين يتسبب ايضا في تشوه ثقافي وعمى فكري لدى كثير من طلاب المسلمين حيال الديانات الاخرى ويفتح باب التأويلات والتفسيرات المشوهة حيال تقاليد وطقوس غير المسلم ، فمثلا في العراق لايعرف المسلمون شيئا عن ديانة الصابئة المندائيين ولا عن الديانة الايزيدية ويعدون اتباع هاتين الديانتين كفارا وانجاسا ولايجوز التقرب منهم ، وهذا الامر ينطبق على المسيحيين آيضا إذ لايفهم المسلم شيئا عن عاداتهم الاجتماعية أو طقوسهم الدينية ويتجنب الدخول لكنائسهم أو الاختلاط بهم في مناسباتهم ، أما اليهود فقد تعرضوا في العراق لابشع اساليب التنكيل في مطلع الاربعينيات الى بداية الخمسينيات من القرن العشرين ، اذ سلبت اموالهم وممتلكاتهم وطردوا من العراق في عملية سياسية ذات دلالات اجتماعية خاطئة لم تميز بين يهود العراق المحبين لبلدهم وبين الصهاينة المغتصبين لارض فلسطين ، لقد كانت اساليب السرقة والنهب لممتلكات اليهود ليس مؤشرا على غباء الحكومة العراقية لتفريطها انذاك بحقوق مواطنيها وانما اعطت دليلا على تدني صورة الاخر في عقلية المجتمع العربي الاسلامي الامر الذي اتاح ممارسة شتى انواع اللصوصية والتنكيل بالمواطن العراقي اليهودي دون ادنى شعور بالذنب ، بل ان المغالاة والتباهي كانت عنوانا لكل ممارسات النهب التي مورست ضد اليهود والتي سميت بالمصطلح العراقي (الفرهود) ، حتى أن أحد أشهر مطربي العراق آنذاك (عزيز علي) ، عمل (مونولوج) مازال ذائعا بين العراقيين ، عبر خلاله بصدق عما اختلج في نفوسهم من مشاعر الغلبة والاستئثار والتشفي من اليهود فقال في مطلع المونولوج (شحلو الفرهود كون يصير يومية) ، بمعنى ما اجمل النهب والسلب لليهود لو كان يتكرر يوميا . هذه النظرة المجتمعية حيال الآخر والتي استندت الى الشك والتكفير والتخوين تصاعدت مع منهج التعبئة الفكرية التي مارستها النظم الثورية ضد الاستعمار والصهيونية دون ان يكون لتلك

النظم القدرة على اقناع المواطن البسيط بان تلك التعبئة لاتنطبق على مواطنيها المخالفين ، فقصرت في اجراءات الحماية لمعتقدات المخالفين واماكن عبادتهم وطقوسهم وهو ما اتاح للجهلة والرعاع من تبني افكار وسلوكيات عدوانية مثل تربية النشيء الجديد على منع الاختلاط بابناء بعض الديانات واعتبارهم انجاسا ورفض الاجتماع معهم على موائد الطعام والاكل من طعامهم فضلا عن رفض الزواج من بناتهم ومنعهم من الوصول الى بعض الوظائف العامة المهمة ، لقد ظل العربي المسلم الذي يتزوج من صابئية او مسيحية او يهودية يضرب به المثل على خروجه على تقاليد المجتمع ، اذ يوضع على مستقبل اولاده الف علامة استفهام !! إذ لايتم تزويجهم في غالب الاحيان ويكنون بامهم الصابئية أو اليهودية أو النصرانية .

هيكلية البحث :

سيعالج البحث في النقطة الاولى اشكالية التعصب التي باتت تمثل سلوكا معتادا للأغلبية العربية المسلمة في العراق وفي المنطقة العربية والتي كانت مظاهرها واضحة في اعمال عنف وتهجير للمخالفين واساليب مضايقة وتهكم وازدراء ، ولعل اهم اسبابها هو التخلف والجهل وغياب الرؤية الحكومية لمناهج تربوية تشجع التعايش والاندماج ، فضلا عن وارتفاع البطالة والفقر في صفوف الاجيال الصاعدة .

اما النقطة الأخرى فقد عالجت اتجاهات التعصب في الواقع العراقي والتي من أبرز مظاهرها استغلال واحتكار وغرور الاغلبية العربية المسلمة للسلطة وشعورها بالتفوق على بقية الجماعات المتعايشة مما ولد شعورا بالإحباط والغبن دفع ابناء تلك الجماعات للانعزال والتعصب و الهجرة .

وعالج البحث في النقطة الثالثة اسباب نمو ثقافة الكراهية في الواقع العراقي واهمها الاختلافات الاثنية وفشل السلطة في العراق الحديث في احتواء تلك الاختلافات في مشروع وطني يقوم على حكم القانون والمواطنة والديمقراطية التي تضمن مشاركة الجميع في السلطة والثروة

اما في النقطة الرابعة فقد تم التركيز على بعض مظاهر التهميش الاجتماعي والسياسي التي واجهتها بعض الجماعات الدينية في العراق ولاسيما بعد احتلال عصابات داعش الارهابية لمناطق انتشار تلك الجماعات ولاسيما الايزيديين والمسيحيين وما نجم عن ذلك من ممارسات قتل وتهجير وسلب وسبي لممتلكات واعراض ابناء تلك الجماعات وهو ما تسبب في تشويه واضح لأسس التعايش التاريخي بين تلك الجماعات وبين محيطها العربي الاسلامي وساعد في استنهاض صورة جديدة مناقضة لقيم الاسلام تقوم على التكفير والتخوين للأخر .

ومما يؤسف له ان صعود مظاهر التعصب والتمييز ضد الاخر في مجتمعاتنا العربية باتت لها انعكاسات متعددة على واقع تلك المجتمعات فمن جهة تآكلت هويتها الوطنية بعد ان تصاعدت هجرة ابناء الاديان الاخرى الى خارج اوطانها ، ومن جهة ثانية كان الانعكاس سلبيا على الثقافة الاسلامية ، ففي ظل تصاعد الاسلاموفوبيا واتهام الغرب للاسلام والمسلمين بالتعصب والعنصرية حيال الاخر يصبح تصحيح الصورة واجبا وطنيا يجب ان تتبناه القوى والتيارات السياسية والاجتماعية الحية في مجتمعاتنا العربية ، لاعادة الصورة الحقيقية للاسلام والذي من اعلى غاياته صون كرامة الانسان وحمايته وتوفير الامن له اينما وجد وباي لغة او هوية كانت وتذليل الصعوبات التي تعترض التكليف الرباني له بعمارة الارض واقامة العدل .

اولا : عقدة التعصب واشكالية الاغلبية العربية المسلمة

ان تشخيص سلوكيات التعصب والتحيز وتحديد نوعيتها وطبيعتها واسبابها بين الجماعات في اطار المجتمع السياسي تحظى بقدر كبير من التحليل ولاسيما في المجتمعات التي تتعرض وحدتها الوطنية وتماسكها الاجتماعي للاهتزاز والتصدع بسبب صعود التيارات السياسية المتعصبة قوميا ودينيا وايدلوجيا . اذ يترتب على التعصب والتحيز والكراهية اثار سلبية على جوانب كثيرة من الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية وفي مختلف المجتمعات الانسانية ، وهناك الكثير من المجتمعات التي عانت وماتزال من مشكلة عدم التوافق والانسجام بين وحداتها

الاجتماعية بسبب بروز التعصب بين الجماعات وما يترتب عليها من افعال سلوكية ذات طبيعة تمييزية ، الامر الذي يشل من قدرة بعض الدول والحكومات على مواجهة هذه المشكلة ، اذ يدفع بها الى التفكك كما في الاتحاد السوفيتي ويوغسلافيا وتشيكوسلوفاكيا والى الضعف والحرب الاهلية كما حصل في بعض الدول العربية كالعراق وسوريا ولبنان ، اذ تصاعدت مشاعر الكراهية والسخرية والحقد بين الجماعات مع غياب واضح لمشروع وطني جامع بينها[١] . وعلى وفق علماء النفس الاجتماعي فان التعصب هو اتجاه سلبي غير مبرر نحو فرد ، قائم على أساس انتمائه إلى جماعة لها دين أو طائفة أو عرق مختلف

أو اتجاه عدائي نحو جماعة معينة قائم على أساس الانتماء إليها . ويعني أيضا النظرة المتدنية لجماعة أو خفض قيمتها أو قدراتها أو سلوكها أو صفاتها . وهو اتجاه مؤذي قائم على تعميمات غير دقيقة بخصوص جماعة على أساس اللون أو العرق أو الدين أو الجنس ، أو أي فرق أو اختلاف آخر قابل للملاحظة . [٢]

وتعد الاتجاهات التعصبية السلبية ضد الاقليات والطوائف والجماعات الصغيرة من اكثر اشكال التعصب التي نالت اهتماما نظريا وواقعيا في المجتمعات الغربية على اعتبار انها تمثل مشكلة ذات اهمية كبيرة تواجه المجتمعات التعددية بالانهيار والتفتت . فالعلاقة بين الاقلية والاغلبية تتضمن عادة وبشكل ثبوتي بعض حالات التعصب السلبي التي تدفع باتجاه الصراع (الخفي او المعلن) والذي ياخذ صيغا واشكالا مختلفة منها التهكم واطلاق الاوصاف السلبية وكتابة المقالات والمؤلفات العنصرية ومنها الترويج لافكار التعالي في عقول النشيء الجديد حيال الاخر المختلف ومنع الاختلاط بهم والزواج منهم فضلا عن التهيئة لاستخدام العنف ضدهم في بعض مواقف الضعف السياسي والاجتماعي التي يمر بها المجتمع (٣) ، ولاشك ان المجتمع العراقي والعربي مليء بصور مختلفة للتعصب حيال الاخر المختلف دينيا

١

٢

عبر تنشئة الاجيال على عدم الاختلاط بغير المسلمين والالتزام بحدود التعامل الرسمي معهم في حدود المدرسة والدائرة واطلاق اوصاف سلبية عليهم مثل الجبن والبخل فضلا عن عدم الاختلاط اجتماعيا معهم او الزواج منهم .

والسؤال الذي يمكن ان يطرح نفسه هو : هل ان اشكالية التعصب لصيقة بالاغلبية العربية المسلمة ام بالاقليات الدينية المتعايشة في المجتمع العربي والتي لدى بعضها ايضا افكار عنصرية وتصورات سلبية حيال العرب والمسلمين ؟ ام هي صفة ملازمة للاثنين معا ؟ وماهو اثر التربية الاجتماعية والتنشئة السياسية في مجتمعاتنا العربية في ظهور اتجاهات التعصب والكراهية ؟ وهل ان ظروف عدم الاستقرار السياسي والازمات الاقتصادية التي تعانيها البلدان العربية والاسلامية ساهمت في بروز بعض الافكار العنصرية والتصورات الخاطئة حيال غير المسلمين ؟ . (٤)

مع ان الراي الارجح هو ان التعصب لايرتبط بجماعة معينة وانما هو سمة سايكولوجية تتصل بالجماعات بغض النظر عن كونها اقلية ام اغلبية ، الا ان هناك اراء اخرى تشير الى ان التعصب والنظرة المتدنية للاخر هي مشكلة الاغلبية او الجماعة المسيطرة وليس مشكلة الاقلية ، فحيثما يوجد تعصب فان المسؤولية تقع على الاغلبية المتمكنة من السلطة والثروة والنفوذ ، لان تعصب الاقلية وحسب تعبير الدكتور اسماعيل صبري عبدالله ماهو الا رد فعل دفاعي نتيجة للحرمان والاضطهاد الذي تعانيه ، وينطبق ذلك من الناحية النفسية والسلوكية العامة على كل الاقليات ، فمثلا الاقلية المسلمة في يوغسلافيا السابقة (جمهورية البوسنة والهرسك حاليا) متعصبة ومنحازة للاسلام ، رغم انها لاتعرف اللغة العربية وغير متعمقة في الاسلام بشكل جيد ، الا انها تعد نفسها مستقلة وفي غاية التعصب للاسلام بحكم ممارسات التضييق التي مارستها الاغلبية المسيحية الارثوذكسية من الصرب والكروات (٥) وكما ان الاقلية الشيعية الاسماعيلية في السعودية تعد من الاقليات المتعصبة فان الاقلية السنية الكردية في ايران تعد كذلك من الجماعات المتعصبة بحكم نظام الاغلبية الذي تسيطر عليه الهوية الفارسية الشيعية . ولاشك ان تفسير المسالة يكون في الغالب تفسيرا نفسيا

وليس تفسيرا دينيا او عرقيا فكل الاديان السماوية والوضعية تحث على التسامح وبث المحبة مع الاخر ، ولكن مصالح البشر وتنوع نزواتهم وتعاليمهم هي التي تفرز سلوكيات التعصب والمغالبة باسم الدين . وتؤدي وسائل التنشئة الاجتماعية (العائلة ، المدرسة ، الجامعة ، دور العبادة ، الوظيفة ، وسائل الاعلام) ، دورا كبيرا في بروز ملامح الانفتاح والتعاون بين الجماعات او نوازع التمييز والكراهية ، ولاشك ان الفهم المغلوط لقيم الدين وتلقين النشيء الجديد افكار سلبية عن الاخر ، فضلا عن افكار قومية تقوم على التعالي والافضلية القومية والعرقية تدفع الى نشوء تصورات مشوهة وخطاب يستند الى الكراهية والاستعلاء ، يترتب عليها في اوقات الازمات والحروب سلوكيات عدوانية تقوم على القتل والتهجير والاغتصاب وسلب الاموال . والقراءة التحليلية لخطاب الكراهية السائد في الواقع العراقي والعربي المعاصر يظهر تلازم ثلاثة انواع من تيارات التنشئة السياسية والاجتماعية ساهمت في تغذية الاغلبية العربية المسلمة بافكار سلبية عن الاخر ، الاول هو التيار التكفيري الديني ، والذي يمثل فكراً إقصائياً قمعياً يشكك في معتقدات الآخرين، ويتهمهم بالبدعة والانحراف ، ويرى هذا التيار أن استخدام العنف وسيلة مشروعة في فرض الرأي السياسي والمفاهيم الدينية الخلافية وقد تمثل هذا التيار في التنظيمات التكفيرية التي ظهرت في مصر في منتصف التسعينيات مثل تنظيم التكفير والهجرة وفي العراق مثل تنظيم القاعدة وداعش حيث تم قتل المئات من الابرياء على اساس الخلاف في الراي والعقيدة . اما الثاني فهو تيارالإسلام السياسي، ويقدم نفسه على انه حامي للمقدسات والهوية الاسلامية و هو تيار مسكون بهواجس التآمر العالمي ويستند على حتمية الصراع مع العالم الغربي باعتباره مركز الاستعمار والتامر على الشعوب العربية والاسلامية ، ويتهم هذا التيار كل الأنظمة العربية ونخب المثقفين والمفكرين بأنها من صنيعة الغرب وتنفذ مخططاته . وقد تمكن هذا التيار من اختراق بيئة المجتمعات العربية والاسلامية وكسب الموالين له فكريا وايدلوجيا .

اما التيار الثالث فهو التيار القومي بمختلف مسمياته (الناصري والبعثي) ، حيث استند هذا التيار على اعتقاد جازم بأن الغرب هو العدو الذي عوّق نهضة العرب برسمه للحدود القطرية ودعمه لإسرائيل ، وأخطر ما في هذا الفكر أنه يحتكر (الوطنية) ويخوّن التيارات الآخرى المختلفة معه ، فإذا كان التياران السابقان (التكفيري والاسلام السياسي) احتكرا (الجنة) فإن التيار القومي قد احتكر (الوطن) (٦) .

لقد دفع المواطن العربي المسلم ضريبة الخضوع والاذعان القسري لاليات التنشئة الاجتماعية والسياسية التي فرضتها تلك التيارات الثلاث والتي تمكنت في بعض البلدان من استلام السلطة ، سواء عبر المدرسة والجامعة او من خلال الاحزاب التي انشأتها واجبرت الناس للانظمام اليها ، اذ طبعت في عقول الاجيال الناشئة ثقافة سلبية باعدت بين الناس ومنعت التواصل بينهم ، فلايوجد في الكثير من المدارس او الجامعات اسلوب الحوار الايجابي ، وفي احيان كثيرة تدخلت السلطة للتلاعب بالتنوع الاثني والثقافي فحولت الاختلاف مع الاخر في الراي الى خلاف على مستوى الفعل اعتمد اساليب العداء والاضطهاد بانواعه وانتهى بالعنف الذي استهدف القضاء على الاخر وعلى ثقافته (٧) ، اما على صعيد تنشئة الأسرة لابناءها فهي غالبا لاتستند الى نمط قيمي متناسق بل تستند في كثير من الاحيان الى عوامل ثقافية وتاريخية تضع الاخر المختلف في موقع التابع دون ايجاد اليات للانفتاح والحوار معه وتجسير مقاربات مشتركة لخلق نمط من قيم العيش المشترك وهو مايفتح الباب لاستمرار لغة التعصب السياسي والانغلاق الاجتماعي . (٨)

ثانيا : اتجاهات التعصب في الواقع العراقي

سعت الدراسات العلمية في حقلي العلوم السياسية والعلوم النفسية والاجتماعية الى ايجاد اسس علمية لظاهرة الكراهية والتمييز بين الجماعات على المستويين الاجتماعي والثقافي ، وتم التركيز على اتجاهات معينة :

الاتجاه الاول : ينبع من علاقات القوة او السلطة التي تملكها الجماعة الاكبر حيث تسعى الاغلبية المسيطرة على السلطة والثروة الى استغلال الجماعات الصغيرة

لاغراض اقتصادية اوسياسية او حتى لاغراض الهيبة ، في الوقت الذي تحاول فيه تلك الجماعات التخلص من هذا الوضع بالانعزال او الهجرة او التخصص المهني والاقتصادي (٩)

الاتجاه الثاني : ذو طبيعة ثقافية ينبع من اعتقاد الاغلبية بانها المالك او المحتكر للحقيقة التاريخية وانها مركز الابداع والتقدم العلمي والثقافي ، بل هي مركز كل شئ ، وانها فوق الجماعات الأخرى وان الحكم على الآخرين يتم بمقاييسها ، وتنظر بازدراء إلى الغرباء عنها ، وتعتقد أن طريقتها في الحياة هي الطريقة الصحيحة ، وهذا التقسيم هو الذي يدفع لبروز الكراهية والتعصب (١٠) .

ومع ان هذا الاعتقاد يساور الاقلية ايضا الا ان امتلاك الاغلبية للقوة والسلطة يدفعها في اغلب الاحيان الى ممارسة واتباع جهود عنيفة ، بل ومتطرفة في سبيل اهداء الاقلية الى ثقافتها عبر اساليب التطويق الثقافي . ومع استمرار مقاومة الاقلية لهذه الجهود فان العلاقة بين الطرفين تاخذ مسار التوتر مما ينتج عنه بروز التعصب العنصري المتبادل (١١) ومن استقراء واقع تعامل الاغلبية العربية مع الجماعات الدينية نجد اصرارا حكوميا وشعبيا على احتكار الحقيقة الدينية والقومية والغاء فكرة التنوع والتعدد الديني التي اقرها الاسلام ورعاها عبر قرون حيال ابناء الجماعات الدينية الذين تعايشوا في كنف الدولة الاسلامية بحرية ومساواة .

ان للعربي المسلم الحق في أن يعتز بعروبته واسلامه ، والحق نفسه للمسيحي واليهودي والصابئي والشبكي والايزيدي ومن هو على مذهب آو دين آخر وهذا ما هو سائد في المجتمعات الديمقراطية الغربية ، بل حتى في المجتمعات غير الغربية مثل المجتمع الهندي الذي ألف التعدد والتعايش في الاعراق والأديان والمذاهب ، غير أن الجانب السلبي في الهوية الاجتماعية يبرز عندما يعمد صاحبها، شعوريا أو لا شعوريا ، الى إعلاء مكانة الجماعة التي ينتمي إليها، وتفضيلها على الجماعات الأخرى ، والغالب في مجتمعاتنا ، أن الاكثرية العربية المسلمة تميل إلى أن تهتم اكثر بتغذية الجانب السلبي من هويتها في تنشئة أطفالها ، وتعزيزه في الحديث اليومي للراشدين

منهم ، والتركيز عليه في خطاباتها السياسية والثقافية والدينية بأن تعمد إلى تضخيم ذاتها او الإكثار من تمجيد تاريخها والزهو به،وابراز أفضليتها على الجماعات الأخرى ، وهو مايكرس حالة من التوتر السياسي والاجتماعي . (١٢)

الاتجاه الثالث : هو اتجاه عرقي او عنصري نابع من اعتقاد الاغلبية او الجماعة المسيطرة بانها متفوقة بايولوجيا على جماعة الاقلية وان قيم الاقلية هي باستمرار سلبية ، وقد ينجم عن هذا الاحساس افعال سلوكية ذات طبيعةعنصرية تتبناها الاغلبية تجاه الاقلية . وعادة ماتتراوح تلك الافعال الموجهة ضد الاقليات بين استعمال الابادة البشرية وهي الشكل الاكثر ارهابا ورعبا مثلما حصل في ابادة الالمان للاقليات غير الالمانية ابان حكم هتلر (١٣) وماحصل من ابادة اقلية الروهينغيا المسلمة على يد الحكم العسكري البوذي في ميانمار، وبين اضعاف وجود تلك الجماعات بطريقة منظمة (نظامية) ، والسعي لتهجيرها ، عبر استعمال وسائل التخويف والاكراه او التهميش والحط من القدر والازدراء المتعمد واضفاء القاب تثير الاسمئزاز والتفكه والتندر . ومن امثلة ذلك ما تتعرض له الاقلية المسلمة في الهند من مضايقات وتهميش وتمييز واضطهاد في عهد حكومة حزب الشعب الهندوسي المتطرف بزعامة ناريندرا مودي التي ترفع شعارات العداء المباشر لكل الاقليات في الهند ، حيث ذكرت صحيفة لوموند الفرنسية ان مخاوف المسلمين على عقائدهم ووجودهم بدأت تتصاعد مع مطالب المتطرفين في حكومة مودي بإعادة المسلمين الى موطنهم الاصلي الباكستان ، وأضافت لوموند أن المسلمين يتعرضون الى التمييز في المدارس والشوارع والوظائف وان المسلمين باتوا قلقين ومتخوفين حتى في اختيار اسماء اولادهم وان انتقاد المسلمين والتمييز ضدهم لم يعد من الممنوعات في عهد مودي، الذي قالت الصحيفة إنه صعد إلى السلطة ليطبق ب(أيديولوجية الهندوتفا) ، وهي عبارة عن مشاعر قومية ثقافية هندية ظهرت منذ قرن ، تروم الانتصار للديانة الهندوسية ضد غيرها من الديانات في الهند ، ويعتبر مودي أحد أبرز زعمائها، وحزبه "بهارتيا جاناتا" (حزب الشعب الهندي) من التنظيمات المبشرة بها (١٤) ، ومن الواضح انه في الوقت الذي تستهدف فيه

مثل هذه الممارسات الانتقاص من قيمة الجماعة ووجودها المعنوي او شخصيتها وتثير الغرور والكبرياء والانتصار المعنوي لدى الجماعة الاكبر ، فأنها تسبب في الوقت عينه الاما نفسية لدى ابناء الجماعة الاخرى تدفعهم الى اتباع اساليب مضادة الامر الذي يجعل من التعصب والكراهية امورا ظاهرة في السلوك العام لتلك الجماعات ازاء بعضها البعض ، وتعيش الكثير من الدول العربية والاسلامية اليوم ازمات سياسية ، (حروب ، انقلابات) ، واقتصادية (فقر ، بطالة ، تضخم ، ندرة موارد) مما يزيد من الضغط والاحتكار للوظائف تدفع ثمنه الجماعات والاقليات الصغيرة مما يضطرها للهجرة او الانعزال (١٥) ، وفي الواقع العراقي الكثير من صور الكراهية والتمييز حيال الاخر غير المسلم تتمثل في النظرة غير المتساوية لهم والتعامل معهم من باب الاحسان والشفقة وليس من باب المواطنة والحقوق المتكاملة ، وقد اظهرت الاحداث التي حصلت في العراق نتيجة سيطرة تنظيم داعش الارهابي فكرا متطرفا ومنحازا تأثر به الكثير من الشباب الذين انظمو الى هذا التنظيم التكفيري وظهرت سلوكياتهم العدوانية في سبي واغتصاب مئات النساء الايزيديات واللائي اعتبرت سبايا حرب ضد الكفار ، كما تم مصادرة الكثير من عقارات ومحال وسيارات المسيحيين في الموصل على اعتبار انهم كفار وان املاكهم عادت الى بيت مال المسلمين ، واجبرت عصابات الجريمة المنظمة والجماعات الخارجة عن القانون الكثير من المسيحيين في بغداد على ترك بيوتهم او بيعها باسعار بخسة ، صحيح ان هذه الحالات حصلت لمئات الاف العوائل المسلمة التي تعرض ابناءها ايضا للقتل والتهجير والابتزاز ، الا ان تلك العوائل وبحكم علاقاتها القرابية والعشائرية استطاعت الاستقرار في محافظات ومناطق اخرى ، ماعدا ابناء الاقليات الدينية الذين لم يجدوا بدا من الهجرة عن العراق بسبب ضعف السلطة في حمايتهم وعدم وجود حاضنة اجتماعية مثل العشيرة توفر الحماية لهم (١٦)

ثالثا : ثقافة الكراهية والعنف بين الجماعات في الواقع العراقي : الاسباب والنتائج

ان تحليل اسباب انتشار ثقافة العنف والكراهية بين الجماعات والطوائف في المجتمعات المهتزة لاتقف معه اسباب سياسية تتعلق بعدم الاستقرار السياسي ، وانما بسبب عوامل اقتصادية تتعلق بالبطالة وقلة الموارد والفقر وكذلك بعوامل ثقافية واجتماعية تتعلق بنمط القيم السائدة حيال الاخر وقلة الاحتكاك والتواصل بين ابناء الجماعات المختلفة والتمييز الاجتماعي والسياسي الصادر من السلطة حيال بعض الجماعات ، فضلا عن الجهل وارتفاع نسب الامية ، وعليه فقد توصل فريق من علماء النفس الاجتماعي في دراساتهم وابحاثهم الى ان التعصب والصورة السلبية التي تتشكل حيال الاخر تنشأ لاسباب متعددة علما ان تلك الاسباب تختلف من مجتمع لاخر وحسب طبيعة السلوكيات والقيم السائدة في كل مجتمع والظروف والاحداث التي يعيشها افراده :

١- الاختلافات الاثنية اذ كلما كان هناك اختلاف او تباين بين الجماعات التي يتكون منها المجتمع على اساس ديني او طائفي او عرقي كانت اسباب الاحتكاك بين الجماعات عالية ، فوجود جماعات تنتمي الى عناصر مختلفة او اديان مختلفة او ثقافات فرعية مختلفة يعد ارضا خصبة لنشاة التعصب او الحقد والازدراء بين الجماعات ، ويزداد هذا الامر مع وجود نظام سياسي ضعيف لايستطيع ان يفرض سلطة القانون او ان يبني ثقافة وطنية واحدة تجمع بين الثقافات الفرعية المختلفة ، كما يزداد مع وجود نظام سياسي يستمد شرعيته من نظام المحاصصة القومية كونه منبثق من اغلبية قومية او دينية او طائفية تمثل الاغلبية السياسية في البلاد ، ويترافق مع هذا الشكل من الانظمة ظهور ممارسات اقصائية وتمييزية تدفع ثمنها الاقليات او الجماعات الدينية التي لاتمتلك اغلبية على الساحة السياسية او الاجتماعية . (١٧)

٢- الجهل والتخلف وعدم وجود فرص للاتصال بين الجماعات المختلفة في المجتمع الواحد ، فقد اثبتت الدراسات انه كلما ازدادت معرفة الفرد بالحقائق والمعلومات عن الجماعات التي يتعصب ضدها قل تعصبه ، ومع ان العولمة الثقافية كسرت الحواجز بين الثقافات المتنوعة وفتحت ابواب التلاقي بين مختلف الحضارات والشعوب والجماعات ، الا انها قد افرزت في ذات الوقت نمطا جديدا من الانعزال والتعصب

لدى تلك الجماعات بدافع الخوف من الذوبان والانحلال في بحر العولمة الثقافية المتلاطم . (١٨)

٣- الظروف الصعبة المتعلقة بالعمل تعكس تعصبا وتحيزا وتمييزا اكبر من الاوقات التي تكون فيها الظروف افضل ، بمعنى اخر ان اوقات الازمات الاقتصادية والسياسية ومايرافقها من بطالة وتدني فرص العمل تكون اكثر انعكاسا لبروز التحيز والتعصب من الاوقات التي تتسم بالرخاء والوفرة الاقتصادية . (١٩) ، ففي العراق ساهمت ظروف الفقر والبطالة وتدني فرص العمل وانخفاض اسعار النفط وتوقف نشاطات القطاع الخاص وهجرة الشباب وارتفاع نسبة الامية بعد العام ٢٠٠٣ ، في تصاعد مؤشرات التعصب والعنف في المجتمع العراقي وهو مانلاحظه في تصاعد وتيرة انضمام الشباب الى الجماعات المسلحة وعمليات الخطف والقتل وكثرة النزاعات العشائرية ولاسيما في مناطق جنوب العراق ، فضلا عن تأثر فئات مختلفة من المجتمع العراقي بالخطاب الاسلامي للجماعات المتشددة .

٤- الارتفاع في مستوى التعليم يفضى الى انخفاض مستوى الحقد والتعصب ضد الاخرين ، اذ ان ازدياد المستوى العلمي والثقافي للفرد يتيح امامه فرصة التعرف على الاخرين وتقليل نظرته السلبية حيالهم ، ويمكن الاشارة الى ان انتشار التعليم في بعض الدول ودعم مؤسسات الحوار العلمي والمنتديات الثقافية ساهم في انفتاح الثقافات والاثنيات على معتقدات بعضها والمشاركة في المناسبات الدينية والاجتماعية المشتركة على عكس المجتمعات التي ترتفع فيها نسبة الامية حيث ترتفع فيها نسبة الكراهية والعنف المضاد بين الافراد والجماعات .

٥- ان حالة الكراهية او التعصب تزداد حينما تكون الاقلية في وضع افضل قياسا بالاغلبية وتسعى الى المزيد من ذلك عبر التفوق في التعليم وفي النشاط الاقتصادي وفي العلاقات مع الخارج وهو مايجلب الحساسية والحسد من قبل ابناء الاغلبية .

٦- يؤدي حجم الاقلية دورا في شدة الكراهية او التعصب ، فكلما كانت الاقلية ذات وزن عددي محدود كانت اكثر ميلا للانفتاح ومن ثم الاندماج في الاطار الاوسع

للمجتمع ، (٢٠) مثلما حصل مع الصابئة المندائيين في العراق حيث ساهم عددهم القليل واصولهم العربية في زيادة اندماجهم في المجتمع العراقي المسلم وتعلم ثقافته ، في حين ان تزايد الوزن العددي للاقلية مع مايرافقه من تزايد لحدة التمايزات والانقسامات داخل المجتمع ، وتوفر عنصر التنظيم المدني والعسكري للاقلية ، هذا الى جانب الدعم الخارجي سوف يساعد على زيادة احتمالات التعصب او الكراهية ومن ثم زيادة امكانات انخراط الاقلية في اعمال عنف ضد النظام السياسي او ضد الاغلبية مثلما حصل مع اكراد العراق في عهد النظام السابق والعهود التي سبقته .

٧- التعصب او الكراهية بين الجماعات يستمر او يحافظ عليه اذا ماتوافرت له التبريرات القانونية من قبل النظم الحاكمة (٢١) ، مثل منع تعليم ابناء الاقلية واعتبارهم غرباء عن تاريخ البلد ومحاولة طردهم وتهجيرهم كما حصل في المناطق التي سيطر عليها تنظيم داعش الارهابي في العراق ، حيث اوجدت تلك الجماعة المتطرفة الغطاء الشرعي لممارسة شتى انواع التعذيب والطرد والتهجير لابناء الاقليات الدينية باعتبارهم كفار حسب اعتقادهم بل وصل الامر الى سبي نساءهم كما حصل مع النساء الايزيديات في محافظة الموصل في شهر اغسطس – اب ٢٠١٤ .

٨- يتصاعد التعصب مع انتشار وسائل التواصل الاجتماعي والسماح بتوظيف القنوات الفضائية والصحف والمنابر الاعلامية والاكاديمية لنشر الكراهية والتمييز ضد الافراد والجماعات المختلفة عبر اتهامهم بالتعصب وكراهية الاخر والمس بمعتقداتهم وسلوكياتهم واظهار ثقافة الاغلبية على انها الثقافة الاصيلة وان ثقافة الاقليات هي ثقافة وافدة وغريبة . (٢٢)

٩- ان التعصب والعنصرية اتجاه الاقليات تتصاعد حسب طبيعة النظام السياسي ، ففي النظم الديمقراطية وذات المجتمعات المفتوحة والطبيعة التنافسية ولاسيما في المجتمعات الصناعية ، تتصاعد عملية الانتقال والترقي لابناء الاقليات في سلم العلاقات الاجتماعية والمناصب السياسية والمواقع الاقتصادية في حين ان النظم ذات الطبيعة الايدلوجية الواحدة والتي تحتكر الحكم باسم الاكثرية تتصاعد فيها السلوكيات

العدوانية وممارسات العزل والتهميش للجماعات المغايرة (٢٣) ، ويكون هذا الامر اشد وضوحا في الانتخابات حيث تظهر الكثير من التيارات والاحزاب والشخصيات العنصرية التي توظف كراهية الاخرين في شعاراتها الانتخابية وبرامجها الحزبية (٢٤) ، وهو ما بدأ يظهر بوضوح في الغرب حيث بدأت اصوات التطرف تظهر في بعض المجتمعات الاوربية ولاسيما اوقات الانتخابات لدواعي عنصرية حيال المهاجرين والوافدين الاجانب (٢٥) ، كما اخذ يبرز بوضوح في بعض المجتمعات العربية التي اجتاحتها موجة من العنف والارهاب والتطرف كما في مصر والعراق ، حيث تعيش نسبة كبيرة من المسيحيين ، اذ سعت بعض التيارات الاسلامية المتشددة ومن منطلق تعصبي الى تصعيد خطاب الكراهية لتصفية الوجود المسيحي في هاتين الدوليتن وعدهم موالين للغرب الكافر، اذ مورست ضدهم ممارسات ارهابية كتفجير الكنائس وقتل رجال دين وتهجير مواطنين ابرياء والاستيلاء على اموالهم . (٢٦)

ومع تصاعد الخطاب العنصري ومايترتب عليه من حقد وازدراء وكراهية بين الجماعات وتضائل حالة الموازنة او التكافؤ في اساليب المواجهة بين الاقلية والاغلبية بسبب سيطرة الاخيرة على مقومات السلطة يجد ابناء الاقليات انفسهم مبعدين ومعزولين عن النظام الاجتماعي والاخلاقي السائد ، فحريتهم مقهورة ومكبوته بقوة السلاح الذي يملكه الاقوياء وحقوقهم مهضومة بفعل سيطرة ابناء جماعات او اعراق اخرى اقوى واقدر ، اضف لذلك ان هذا الابعاد والتهميش الذي يتحمله الكثير من ابناء الاقليات انما يدعمه وباستمرار نظام قانوني تفرضه قوة قمعية كقاعدة سياسية وقانونية واخلاقية مطلقة لاتجوز مخالفتها تحت طائلة الخروج على النظام العام (٢٧) ، ومع استمرار التوجهات التعصبية العنصرية بين الاغلبية والاقلية يصبح من الطبيعي ان تتجه الاقلية وفي ظل افتقادها لمقومات الرد المقابل الى التقوقع والانغلاق على ذاتها وتصبح اكثر استجابة لطروحات المغالين من ابناءها بالكيانية الخاصة فهؤلاء المغالين عادة مايلجاون في تحركاتهم الى توظيف ترسبات الامس من التعصب والحقد والكراهية بهدف تعميق مشاعر التقوقع والانطواء على الذات والاستفادة مما يولده الانعزال من

نمو الاحساس بالتفرد . ومايولده من ضعف الشعور بالانتماء المجتمعي لمصلحة الانتماء الديني او العرقي . (٢٨)

رابعا : التهميش الاجتماعي في الواقع العراقي وانعكاسه على الاقليات الدينية .

وفي اطار ماتقدم من تحليل لالية التفاعل الاجتماعي والسياسي وماينجم عنه من بروز الاتجاهات التعصبية العنصرية بين الجماعات يمكن القول وبالقياس على الواقع العراقي ان هذا الواقع يقدم صورة حية لتلك العلاقة المتراخية التي تربط الاغلبية العربية بالاقليات الطائفية والدينية والعرقية الموجودة ، فهناك ميل واضح لدى الاغلبية الى تمييز نفسها عن الاقليات وفي مختلف مستويات التفاعل الاجتماعي ، بل ومحاولة لتضييق مسالك الحرية امامها للتعبير عن بعض مقوماتها الذاتية ، فمن المؤسف حقا ان نجد تناقضا بين شعارات الوحدة الوطنية والاقرار بالطابع التعددي للمجتمع الوطني ، وبين الممارسات الفعلية التي تمارسها الاغلبية المسلمة في العراق ، اذ تحولت تلك الشعارات الى غطاء غايته الاساسية صهر المجتمع باسلوب قسري وتذويب الاقليات في داخل الجماعة الاجتماعية الاكبر ، والواقع ان المجتمع العراقي باتت تتحكم به اليوم العصبية القبلية والطائفية والقومية وعصبيات اخرى طغت على الهوية الوطنية ، بعض تلك العصبيات على شكل تحالفات قبلية توحدهم قيم دينية ، واخرى تحالفات ذات طبيعة سياسية تمترست بالسلطة وتمثلت بأحزاب وجماعات دينية صار لكل منها تنظيم مسلح وافضت بالنتيجة ممارساتها الى تقوية الولاءات الفرعية وتراجع الغطاء الوطني الذي كانت تحتمي به الجماعات الدينية الصغيرة (٢٩) . ويذهب د. فؤاد الخوري في كتابه امامة الشهيد وامامة البطل ، الى التاكيد على ان النظرة المتدنية والاتجاهات التعصبية التي تخص بها نسبة كبيرة من ابناء الاغلبية العربية الاقليات الموجودة في الوطن العربي ، انما تاتي من التراتب الاجتماعي ذي الطبيعة الهرمية التي يتميز بها المجتمع العربي والمبني على مفردات او عناصر القوة والضعف واحيانا على اساس المنازل الاجتماعية العليا والدنيا او على اساس الجنس اي الفرق بين الرجال والنساء والصغار والكبار (٣٠) فهناك في المجتمع العربي دائما – على حد

تعبير د. مصطفى حجازي – علاقة سيطرة من طرف ورضوخ وتبعية من طرف اخر ، سيطرة تفرض من خلال لغة التهكم والتمييز والازدراء في احيان ومن خلال لغة العنف والقوة في احيان غالبة ، نجد هذا النمط من اعلى قمة الهرم الى ادناه ، من الحاكم الاول الى مرؤسيه ومن هؤلاء الى مرؤوسيهم ومنهم الى غالبية السكان ، وبين هؤلاء من الاقوى الى الاضعف ومن الرجل الى المراة ، من الكبار الى الاطفال ، وبين الاخوة من الاكبر سنا الى الذين يتلونهم) (٣١) ، فالتراتب الاجتماعي في مجال معين يؤثر في التراتب الاجتماعي في المجلات الاخرى وان اختلف المحتوى والمضمون ، نجد هذا في المجتمع العراقي حيث هنالك نظرة تعالي وتمييز بين العراقيين على اساس ثقافي ومناطقي وقبلي فنظرة ابناء المناطق الغربية السنية لابناء المحافظات في جنوب العراق لازالت قائمة على انهم (شروقية) متخلفون بل ان هذا الامر نجده في المناطق الجنوبية والوسطى من العراق فأهالي النجف ونتيجة مجاورتهم لمرقد علي بن أبي طالب ينظرون بازدراء إلى عموم شيعة الجنوب , وقد تجد هذه النزعة في السلوك الاجتماعي لأبناء مدينة كربلاء ، وكذلك عند أهالي مدن الكاظمية والأحياء الشيعية القريبة منها ، فيما يبدو أن أهل السنة في بغداد جانب الرصافة هم أكثر انفتاحا و مدنية وابتعادا عن القيم العشائرية من أهل السنة في مناطق وأحياء جانب الكرخ والذين دائما ما يدينون بالولاء الطائفي والعشائري كما أن البغداديين مع تباين انتمائهم المذهبي والديني غالبا ما ينظرون بنظرة ازدراء إلى أبناء المدن المحيطة بمدينتهم , بسبب من التباين في أنماط السلوك والتفكير و العلاقات الاجتماعية والأعراف والتقاليد .(٣٢) ان هذا التراتب الاجتماعي قد انعكس على النظرة اتجاه ابناء الاقليات ، فابن الاقلية من الناحية الحقوقية او المسلكية هو في موقع التابع اللامتكافيء في سلم المراتب الاجتماعية والسياسية فاليهودي بخيل وجشع والايزيدي غدار ولئيم ، والصابئي منغلق والمسيحي متعصب ، وقد ترتب على هذا الامر شيئان:

الاول : هو تلازم الاقليات ثقافيا ومسلكيا بتبعية التفاعل اللامتكافيء مع الاغلبية العربية المسلمة ، فالاولوية للعربي المسلم ، اذ ان ثقافته هي الغالبة وابواب الحكم والسلطة والهيبة يجب ان تكون من نصيبه وحده .

الثاني : انه بسبب هذه التبعية انزوى الكثير من ابناء الاقليات الى المنافسة على الوظائف المهمة في الدولة كالشرطة والجيش والخارجية ، واخذوا مدرج التخصص في بعض فروع الانتاج والصناعة والتجارة وبعض مجالات العلم كالطب والهندسة ، اذ لا يوجد فيها تنافس او تزاحم من ابناء الاغلبية العربية المسلمة (٣٣) .

ان شعور الاقليات الدينية بوجود حالة من الازدراء والتهميش الموجهة ضدها شكل عائقا امام دخولها للكثير من ميادين العمل السياسي والاقتصادي ، مما دفعها بالتالي ومن اجل تحسين فرصها في البقاء والمنافسة الى البحث والتركيز على مهن لاتتمتع بمنافسة الاغلبية وهي مهن في الغالب تتميز بالتبعية والوضاعة في سلم المراتب الاجتماعية ، او مهن تحتاج الى دربة وتخصص عاليين مثل الطب والهندسة والصياغة وغيرهما ، الامر الذي جعل الاقليات في بعض الاحيان تعمل على وفق ميدان التخصص في العمل ، وهكذا تلحظ المصادر بشي من الاجماع توجه بعض الجماعات الدينية لامتهان بعض الحرف البسيطة او (المتواضعة) في نظر المجتمع كالدباغة والحياكة والنجارة والحدادة وجمع النفايات الى جانب بعض الاعمال غير المستحسنة دينيا واجتماعيا كصناعة الخمور ومشتقاتها ، فضلا عن ممارسة مهن الرقص والغناء والتمثيل (٣٤) ، ان هذه المكانة (المتدنية) التي تحظى بها الاقليات في الميدان الاقتصادي تنطبق على واقع علاقاتها الاجتماعية مع الاغلبية وفي جوانب متعددة ، فمازال ابناء الاقليات في موضع السخرية والاستهزاء الدائمين من قبل الاخرين ، وعادة مايوصفون باوصاف تحط من قدرهم وكرامتهم ، مثل الغباء والجبن والخيانة والبخل ... الخ ، فضلا عن ذلك مازال زواج ابناء الاغلبية العربية المسلمة يخضع للقاعدة نفسها – قاعدة التبادل اللامتكافيء بين الفرقاء الذين لا يتساوون اجتماعيا او اقتصاديا ، فالاعراف والتقاليد المتبعة من قبل الاغلبية في المجتمع

العراقي او العربي مازالت تقضي وفي كثير من الحالات بضرورة قيام الزواج المتكافيء ، اي تساوي منزلة الزوج والزوجة ، فاذا حدث العكس اي اذا تزوج احدهم من امراة لاتتساوى منزلتها مع منزلته لامن ناحية الاصل ولا من ناحية المقام الديني ، عد ذلك خروجا على الاعراف والتقاليد ، وماينطبق على الرجال ينعكس على النساء بصورة اشد فمازال زواج النساء العربيات من ابناء الاقليات غير العربية غير مستحب (٣٥) ، بل ان زواج المسلمات من ابناء الديانات الاخرى محرم وفق الشريعة الاسلامية الا ان يعلن الخاطب غير المسلم دخوله في الاسلام .

ان هذه الظواهر الاجتماعية والتي اصبحت جزءا من الانماط القيمية المترسخة في مجتمعاتنا تمارس بشكل معتاد ويبدو انه قد اصبح هناك نوع من القبول او الاذعان اللاشعوري لهذه العلاقة غير المتكافئة سواء من قبل الاغلبية المسلمة او حتى من ابناء الاقليات الدينية بل ورغبة في عدم التغيير .

ومع ان هذه العلاقة اللامتكافئة تعد من الامور الطبيعية في اغلب المجتمعات الانسانية بما فيها المجتمعات الغربية التي توصف بانها مجتمعات يرتفع فيها المفهوم الحقيقي للمواطنة وتظهر فيها قوة النظام السياسي وتطبيق القانون ، الا ان ظاهرة العلاقات غير المتكافئة تبدو اكثر بروزا في مجتمعاتنا ونظمنا العربية ، فعلى الرغم من تضمين غالبية الدساتير العربية فقرات ومواد تقر لابناء الجماعات العرقية والدينية ، بحقهم في التمتع على قدم المساوة بذات الحقوق التي يتمتع بها غيرهم في مجال المساواة امام القانون ومنع التمييز الموجه ضدهم وحريتهم في الفكر والمعتقد والمشاركة في حياة المجتمع العامة (٣٦) ، الا ان الكثير من النظم العربية قد اصبح الدستور بالنسبة لها مجرد واجهة للدلالة على مدى شرعية النظام اتجاه الدول الاخرى اكثر منه اتجاه ابناءها في الداخل (٣٧) اذ اخذت معظم النظم العربية تتجه نحو تبني افعال سلوكية وممارسات تمييزية اتجاه ابناء الاقليات عبر تقييد مطالبهم السياسية والاقتصادية والاجتماعية ولاشك ان ذلك قد فسح المجال للاغلبية العربية ان تمارس بل وتكرس بالقدر نفسه نظرتها الازدرائية اتجاه الاقليات ، وعبر ممارسات اجتماعية قائمة

على اللاتكافؤ او اللاتوازن ، فطالما ان الحكومات تعطي المبرر السياسي والغطاء القانوني فان الاغلبية لاتتوانى عن الاستمرار في نهج التحيز والتعصب العنصري وقد كان لهذا الامر تاثير مباشر على شكل العلاقات التي سادت بين الجماعات في اطار مجتمعنا العراقي والعربي ، حيث مالت في الغالب الى ان تتخذ طابعا اضطهاديا قائما على اللاتكافؤ وهو ماجعل من امكانية تفجر الصراعات امرا واردا وهذا ما نلاحظه في العديد من الاقطار والمجتمعات العربية كلبنان ومصر والسودان والعراق ، والتي يمكن ان يفسر فيها تذمر ابناء الاقليات الدينية وتمردهم في احيان بانه رفض للقوالب والانماط الاجتماعية التي وضعتهم في موضع التابع اللامتكافيء ، فعندما تشعر الاقلية باغترابها عن المجتمع فانها تندفع الى اتباع الكثير من الاساليب المضرة بمصلحة ذلك المجتمع منها اتباع الطرائق السلمية كالهجرة ومغادرة الوطن الى البلدان الاخرى التي تشعر فيها بنوع من الامان مع مايرافق هذ الهجرة من فقدان الكثير من العقليات المبدعة والناضجة ، وللجماعات المسيحية في الوطن العربي كالعراق ولبنان ومصر الدور الاول في هذا الميدان ، حيث يتجه اغلب ابناءها للهجرة الى اوربا واستراليا وامريكا الشمالية . وفي الوقت الذي كان فيه مسيحيو لبنان طلائع المهاجرين الى امريكا الجنوبية والشمالية وغرب افريقيا ، فان مسيحيو العراق كانت وجهتم كذلك الى امريكا الشمالية وتحديدا كندا والولايات المتحدة وكذلك اوروبا وتحديدا في فرنسا وايطاليا ، حيث شكلوا جماعات سكانية اضطرت عنوة للاندماج في عالمها الجديد مع مرارة الغربة التي فرضتها ظروف التهجير وتصاعد خطاب التكفير وممارسات القتل والخطف والابتزاز التي طالت الكثير من ابناءهم وممتلكاتهم فضلا عن تفجير الكثير من كنائسهم (٣٨) ، وهذا ما طال بشكل اكثر قسوة الايزيديون في محافظة نينوى ولاسيما في قضاء سنجار ، اذ تعرضوا الى ابادة جماعية طالت وجودهم الانساني والمكاني (٣٩) ، في ظاهرة عنصرية ارتدت على قيم المجتمع العراقي الاصيل الذي ظل ابناءه لحقب تاريخية طويلة يؤمنون بفكرة التعايش والاندماج مع الاخر المختلف دينيا قبل ان تدخل عليهم افكار التطرف والتشدد من جماعات تكفيرية ذات اجندات

سياسية غايتها تفكيك عرى الوحدة الوطنية للعراق وتفكيك مرتكزات قوته السياسية والاجتماعية

الخاتمة

ان ما تمر به الكثير من المجتمعات العربية ومنها العراق من اضطرابات واعمال عنف وحروب وصراعات داخلية قد انعكس على واقع الانسان بشكل عام من حيث تدني قيمته الانسانية وتراجع مستوى الخدمات المقدمة اليه في كل مجالات الامن الانساني ، وقد ساهمت الصراعات البينية بين المكونات العرقية والطائفية الكبيرة في بعض المجتمعات العربية في تدني الاهتمام بحقوق الجماعات الدينية الصغيرة وتراجع منظومة الالتزام بالقوانين والحقوق الكافلة لحقها في العيش على قدم المساواة والمواطنة في بلدان عاشت بها منذ الاف السنين ، ولعل عدم الاستقرار السياسي والانقلابات السياسية المستمرة وتبدل منظومة الحكم في بعض تلك البلدان قد ساهم في عدم استقرار التطبيق الفعال لمنظومة القوانين والحقوق الخاصة بحقوق تلك الجماعات والتي اقرتها اللوائح الدولية والشرائع السماوية وفي مقدمتها الاسلام سواء في مجال حرية العبادة وحق التعليم او في مجال الحقوق السياسية والاقتصادية والمدنية ، وهو ماساهم في انكشاف وضعها القانوني والاجتماعي وعرض حقوقها للانتهاك المستمر من قبل تلك النظم ، ان عدم الاستقرار السياسي في بعض المجتمعات العربية ومنها المجتمع العراقي ساهم في استقرار واستمرار قيم البداوة ونظرتها المتدنية الى الاخر ، ولم تفلح بعض نظمنا السياسية في ايجاد بيئة تربوية تعلم الاجيال الناشئة على قيم الحرية وحق الخلاف والاختلاف والقبول بالاخر على قاعدة المساواة والمواطنة التي كفلتها الدساتير والقوانين المحلية ، وبقيت تلك الدساتير مجرد واجهات سياسية واعلامية تحصن بها تلك واقعها السياسي والحقوقي امام التدخلات الخارجية اكثر مما تحصن نفسها امام شعبها . ولهذا ظلت صورة ابناء الجماعات الدينية مهتزة في الضمير الجمعي للمجتمع باعتبارها جماعات مغايرة دينيا وبالتالي مغايرة سلوكيا وقيميا لسلوك الاغلبية المسلمة ، وقد ساهمت الاحتلالات الامريكية والغربية المباشرة وغير المباشرة لمنطقتنا العربية وما

نتج عنها من تدمير وتهجير وتفكيك لمنظومة العلاقات السياسية والاجتماعية والاقتصادية في زيادة الاتجاهات العدوانية حيال ابناء تلك الجماعات باعتبارهم ادوات لتلك الدول في احتلال وتمزيق الواقع العربي والاسلامي ، وهو ماعرض ابناءها لواقع انساني مرير ، وزادت احداث داعش في العراق وسوريا وانتشار افراد التنظيم الارهابي في لبنان ومصر وليبيا من حجم المعاناة الانسانية لابناء الاقليات الدينية في تلك البلدان حيث تعرضت حرياتهم الدينية للانتهاك ومعابدهم وممتلكاتهم للحرق والتدمير وتم تهجير مئات الالاف منهم الى خارج العراق او في مخيمات النزوح وتحت ظروف انسانية بالغة التعقيد وفي ظل فتاوى تكفيرية تبيح الاستيلاء على ممتلكاتهم وسبي نسائهم وذراريهم ، ورغم ان تنظيم القاعدة ومن بعده تنظيم داعش قد مارس ذات الاساليب الاجرامية من قتل وتهجير في ابناء الغالبية العربية المسلمة في العراق ، الا ان الملاحظ ان جل المنتمين والمؤيدين للتنظيم سرا وعلانية هم من ابناء تلك الاغلبية الذين تلوثت افكارهم عبر قرون من التنشئة الفجة بافكار التعصب والكراهية حيال الاخر وبافكار التعنصر والتحزب لمنظومتهم الاخلاقية بعيدا عن فكرة التلاقح والاندماج مع المنظومات الاخلاقية العالمية الاخرى .

ان اجتثاث الفكر المتطرف والرؤية المتعصبة حيال الاخر تقتضي تبني الحكومة العراقية سياسة تربوية جديدة تعلم الاجيال الناشئة فكرة التعايش والاندماج الاجتماعي مع الاخر المختلف دينيا وثقافيا بالاستناد الى فكرة المواطنة التي تلغي كل الخصوصيات المحلية التي ينتمي اليها الانسان (قومية ، قبلية ، طائفية ، مناطقية) ، وتنظر الى الاخر المختلف باعتباره شريكا وطنيا متساويا ، وهذا الامر ينطبق على الاسرة المسلمة والتي تقع عليها مسؤولية انسنة ابناءها على فكرة التنوع والحوار مع الاخر المختلف دينيا وثقافيا ، باعتباره انسان خلقه الله واودع فيه قابلية الخلق والتجديد ، وهي مسؤولية تتشارك فيها قوى اجتماعية اخرى كمنظمات المجتمع المدني والمنظمات الخيرية والمؤسسات الدينية ، فعلى رجال الدين ترشيد خطابهم الديني وتجنب الاشارة الى بعض الاحكام الدينية والاجتهادات الفقهية ذات المدلولات التاريخية

والتي لم تعد تواكب العصر والتاكيد على التضامن المجتمعي والغاء خطاب الكراهية والتشتت الذي مزق مجتمعنا وادخله في نفق اللااستقرار.

والحقيقة التي لابد من تاكيدها هي اننا كعرب ومسلمين مصابون جميعا بداء الانحياز المجتمعي بمعنى اننا لازلنا رغم تخلفنا وتفرقنا واحترابنا ننظر لانفسنا على اننا افضل الشعوب وارقى الامم ، وهذه الصورة المعوجة هي سبب ماسينا وتخلفنا ومالم يتم تصحيح هذه الصورة بالنقد الموضوعي والبناء فلن يستقيم حالنا وسنبقى نراوح مكاننا ، واول بوادر التصحيح هي بمراجعة فكرية نقدية لتراثنا المليء بصور ماساوية عن الحياة وعن الامم الاخرى المتعايشة على وجه البسيطة وثاني البوادر هي بتصحيح خطابنا السياسي والاعلامي والديني والعائلي ، وغلق المنابر الاعلامية والمؤسسات الدينية التي تعبيء افكارنا بقيم الحقد والكراهية والغاء الاخر ، فبدونها سنبقى ندور في فلك الجهل والتخلف والاحتراب في وقت يمضي فيه العالم باشواط مسرعة نحو فضاءات التقدم والابداع .

قائمة الهوامش:

١–معتز سيد عبدالله ، الاتجاهات التعصبية ، سلسلة عالم المعرفة ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والاداب ، الكويت ١٩٨٩ ، ص ١٥ .

٢–د.قاسم حسين صالح ، التعصب والاتجاهات : (دراسة أولية في طبيعة المجتمع العراقي المعاصر) ، موقع الحوار المتمدن www.ahewar.org في ٢٣ – ١١ – ٢٠٠٩ . ٢٠٠٩ .

٣–International Encyclopedia of social sciences , vol.6.U.S.A , 1968.p386

٤–د.دهام محمد العزاوي ، معوقات الاصلاح التربوي في العراق ، ورقة عمل قُدّمت في ورشة عمل "نحو استراتيجية شاملة لمحاربة التطرف وبناء توافقات وطنية " والتي نظّمها مركز القدس للدراسات السياسية عمان – الاردن في السابع والثامن من شهر كانون الأول/ديسمبر ,٢٠١٥

٥– د. اسماعيل صبري عبدالله ، الاقباط والقومية العربية (ندوة) مجلة المستقبل العربي ، العدد ٢٣ ، بيروت ، تشرين ثان ١٩٨١ ص ١٩٤ .

٦– مصطفى عبد المنعم ، الانصاري يناقش ثقافة الكراهية عند العرب ، صحيفة الراية القطرية ، في ٩–٥–٢٠١٧ .

٧– د.قاسم حسين صالح ، الشخصية العراقية من السومرية الى الطائفية ، الدار العربية للعلوم (ناشرون) ، ٢٠١٦ ، ص ٥٠ .

٨– المصدر نفسه ، ص ص ٥٠– ٥١ .

٩– معتز سيد عبدالله ، مصدر سبق ذكره ص ٩ .

١٠– د. اسماعيل صبري عبدالله ، الاقباط والقومية العربية ، مصدر سبق ذكره ، ص ١٩٤ .

١١– Encyclopedia Americana, International edition (America corporation , vol19,1980 p.207

١٢– د.قاسم حسين صالح ، مصدر سبق ذكره .

١٣– عوني فرسخ ، الاقليات في التاريخ العربي (عرض كتاب) مسعود الظاهر ، مجلة المستقبل العربي ، العدد ١٩٦ ، بيروت حزيران ١٩٩٩٥ ص ١٦٠ .

١٤– نقلا عن موقع الجزيرة ، الهنود يخفون إسلامهم في عهد مودي ، تقرير منشور في ٢٠١٨/٨/٢١ .

١٥– د. دهام محمد العزاوي ، الاقليات والامن القومي العربي : دراسة في البعد الداخلي والاقليمي والدولي ، دار وائل ، عمان ٢٠٠٣ ص ٨٢ .

١٦– همام طه ، الأقليات في العراق: التعامل مع المسيحيين ككائنات معرضة للانقراض / مقال منشور في موقع صحيفة العرب اللندنية /www.alarab.co.uk ، بتاريخ ٢٩–٣–٢٠١٨ .

١٧– د.دهام محمد العزاوي ، مسيحيو العراق : محنة الحاضر وقلق المستقبل ، الدار العربية للعلوم ناشرون ، بيروت ٢٠١٢ ص ٩٨ .

١٨– د.دهام محمد العزاوي ، العولمة والتدخل الانساني لحماية الاقليات ، دار ايتراك ، القاهرة ٢٠١٤ ص ٧٢ .

١٩– د.بشرى عناد مبارك ، التعصب وعلاقته بالهوية الاجتماعية والمكانة الاجتماعية لدى العاطلين عن العمل ، مجلة الفتح ، كلية التربية الاساسية ، جامعة ديالى ، نيسان ٢٠١٣ ص ١٠ .

٢٠– د. معتز سيد سلامة ، مصدر سبق ذكره ص ص ١٠٩–١١٠

٢١– د. حسنين توفيق ابراهيم ، ظاهرة العنف السياسي في النظم العربية ، سلسلة اطروحات الدكتوراه (١٧) مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ١٩٩٢ ص ٢٣٥

٢٢– د.سميرة بحر ، المدخل لدراسة الاقليات ، مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة ١٩٨٢ ، صص ١٠–١١ .

٢٣- Encyclopedia Americana,op.cit,p.2092

٢٤- د. ادونيس العكرة ، البحث عن الهوية والعنف ، مجلة الفكر العربي المعاصر ، العدد ١٧ ، بيروت ، كانون اول–كانون ثان ١٩٨١–١٩٨٢ ،ص ٩٥

٢٥- يمكن الاشارة هنا الى ما تشهده بعض المجتمعات الاوربية من صعود بعض التيارات اليمينية المتطرفة او ما بدأت تعرف بالتيارات اليمينية الشعبوية التي تمثلها احزاب وشخصيات سياسية متطرفة بدأت ترفع شعارات عنصرية ضد المهاجرين والوافدين من المسلمين والافارقة ، ويسيطر الشعبويين في هذه المرحلة على أكبر حصة من المقاعد البرلمانية في ستة بلدان اوربية هي اليونان، والمجر، وإيطاليا، وبولندا، وسلوفاكيا، وسويسرا . وفي ثلاثة من هذه (المجر، إيطاليا، وسلوفاكيا)، اكتسبت الأحزاب الشعبوية مجتمعة أغلبية الأصوات في الانتخابات الوطنية التي جرت في ٢٠١٥ ،

انظر كاس مودي ، صعود الشعبوية في اوربا ، موقع نون بوست ، في ٢٦ تشرين الثاني – اكتوبر ٢٠١٦ .

٢٦- عوني فرسخ ، مصدر سبق ذكره ص ٥٥

٢٧- د. سعد ناجي جواد ، القضية الكردية وموقف العرب والايرانيين منها ، منشور في : مجموعة باحثين ، ندوة العلاقات العربية الايرانية ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ١٩٩٥ ص ص ٥٤٩–٥٥٠

٢٨- د.دهام محمد العزاوي ، الاقليات والامن القومي العربي ، مصر سبق ذكره ، ص ٥٠ .

٢٩- د.قاسم حسين صالح ، الشخصية العراقية ، مصدر سبق ذكره ص ٩١.

٣٠- د.فؤاد اسحق الخوري ، امامة الشهيد وامامة البطل : التنظيم الديني لدى الاقليات ولطوائف في العالم العربي ، مركز دار الجامعة للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٩٨٩ ، ص ١١٥ .

٣١- د. مصطفى حجازي ، التخلف الاجتماعي : مدخل الى سايكولوجية الانسان المقهور ، معهد الانماء العربي ، بيروت ١٩٧٦ ص ٤٣ وقارن مع د. تركي الحمد ، دراسات ايدلوجية في الحالة العربية ، دار الطليعة ، بيروت ١٩٩٢ ص ١١٢

٣٢- سعد محمد حسن ، النظرة الاجتماعية المتدنية بين العراقيين : المجتمع العراقي وثقافة الكراهية في سياق المعنى والدوافع الثقافية والمجتمعية التاريخية والحديثة موقع الحوار المتمدن في ٦–١٢–٢٠١٤ .

٣٣- د. فؤاد اسحق الخوري ، مصدر سبق ذكره ص ١٠١

٣٤- د. خوشابا حنا الشيخ ، المسيحية في العراق ، مجلة اطياف ، العدد ١ ، مركز الاشراق للدراسات والبحوث ، بغداد ٢٠٠٩ ص ٧٥

٣٥- د. فؤاد اسحق الخوري ، مصدر سبق ذكره ص ص ١١٧-١١٨

٣٦- د. دهام محمد العزاوي ، مسيحيو العراق ، مصدر سبق ذكره ، ص ٢١

٣٧- د. الصادق شعبان ، الحقوق السياسية للدساتير العربية ، مجلة المستقبل العربي ، العدد ١٠٦ ، بيروت ، كانون اول ١٩٨٧ ص ص ٥-١٠.

٣٨- مسيحيو العراق : منسيون في الغربة ، غرباء في الوطن ، موقع ثقافة ومجتمع www.dw.com، تاريخ النشر في سبتمبر ٢٠١٣ .

٣٩- محمود جبار ، فظائع سبي الأيزيديين في العراق ، موقع صحيفة العربي الجديد ، تاريخ النشر في ٣٠ أغسطس ٢٠١٨ .

List of Sources and reference:

i. Moataz Sayed Abdullah, Intolerant Trends, World of Knowledge Series, The National Council for Culture, Arts and Literature, Kuwait 1989, p. 15.

ii. Dr. Qasim Hussain Saleh, Intolerance and Trends: (A preliminary study on the nature of contemporary Iraqi society), the civilized dialogue website www.ahewar.org on 23-11-2009. 2009.

iii. International Encyclopedia of social sciences, vol.6.U.S.A, 1968.p386

iv. Dr. Daham Muhammad Al-Azzawi, The Impediments to Educational Reform in Iraq, a working paper presented in a workshop "Towards a comprehensive strategy to fight extremism and build national consensus", organized by the Jerusalem Center for Political Studies Amman - Jordan on the seventh and eighth of December 2015.

v. Dr. Ismail Sabri Abdullah, Copts and Arab Nationalism (symposium) Arab Future Magazine, No. 23, Beirut, November 1981, p. 194.

vi. Mustafa Abdel Moneim, Al-Ansari discusses the culture of hatred among Arabs, the Qatari newspaper Al-Raya, on May 9, 2017.

vii. Dr. Qassem Hussein Saleh, The Iraqi Personality from Sumerian to Sectarianism, The Arab Science House (Publishers), 2016, p. 50.

viii. The same source, pp. 50-51.

ix. Moataz Sayed Abdullah, a previously mentioned source, p. 9.

x. Dr. Ismail Sabri Abdullah, Copts and Arab Nationalism, previously mentioned source, p. 194.

xi. Encyclopedia Americana, International edition (America corporation, vol19,1980 p.207

xii. Dr. Qasim Hussain Saleh, a previously mentioned source.

xiii. Awni Farsakh, Minorities in Arab History (View Book), Masoud Al-Dhaher, The Arab Future Magazine, No. 196, Beirut, June 19995, p. 160.

xiv. According to Al-Jazeera, the Indians conceal their Islam during the Moody era, a report published on August 21, 2018.

xv. Dr. Dham Muhammad Al-Azzawi, Minorities and Arab National Security: A Study in the Internal, Regional, and International Dimensions, Dar Wael, Amman 2003 p. 82.

xvi. Hammam Taha, Minorities in Iraq: Dealing with Christians as Endangered Species / article published in the website of the London Arab newspaper / www.alarab.co.uk, on 29-3-2018.

xvii. Dr. Daham Mohamed Al-Azzawi, Christians of Iraq: The Plight of the Present and Future Concern, Arab Science House Publishers, Beirut 2012, p. 98.

xviii. Dr. Daham Mohamed Al-Azzawi, Globalization and Humanitarian Intervention for the Protection of Minorities, ITRAC House, Cairo, 2014, p. 72.

xix. Dr. Bushra Anad Mubarak, bigotry and its relationship to social identity and social standing among the unemployed, Al-Fateh Journal, College of Basic Education, Diyala University, April 2013, p. 10.

xx. Dr. Moataz Sayed Salama, a previously mentioned source, pp. 109-110

xxi. Dr. Hassanein Tawfiq Ibrahim, The Phenomenon of Political Violence in the Arab Systems, PhD Thesis Series (17) Center for Arab Unity Studies, Beirut 1992, p. 235

xxii. Dr. Samira Bahr, Introduction to the Study of Minorities, The Egyptian Anglo Library, Cairo 1982, pp. 10-11.

xxiii. Encyclopedia Americana, op.cit, p. 2092

xxiv. Dr. Adonis Al Akra, The Search for Identity and Violence, The Journal of Contemporary Arab Thought, No. 17, Beirut, December-January 1981-1982, p. 95

xxv. It is possible to refer here to the rise of some right-wing currents in some European societies, or what began to be known as the right-wing populist currents represented by extremist political parties and figures that started raising racist slogans against immigrants and Muslim and African immigrants, and the populists control at this stage the largest share of Parliamentary seats in six European countries are Greece, Hungary, Italy, Poland, Slovakia and Switzerland. In three of these (Hungary, Italy, and Slovakia), the populist parties collectively gained a majority of votes in the national elections that took place in 2015,

xxvi. See Cass Moody, The Rise of Populism in Europe, The Non Post, October 26, 2016.

xxvii. Awni Farsakh, previously mentioned p. 55

xxviii. Dr. Saad Naji Jawad, The Kurdish Issue and the Stance of Arabs and Iranians on it, published in: Researchers Group, Symposium on Arab-Iranian Relations, Center for Arab Unity Studies, Beirut 1995, pp. 549-550

xxix. Dr. Daham Mohamed Al-Azzawi, Minorities and Arab National Security, Egypt, already mentioned, p. 50.

xxx. Dr. Qasim Hussain Saleh, The Iraqi Personality, aforementioned source, p. 91.

xxxi. Dr. Fouad Ishaq El-Khoury, Imam of the Martyr and Imam of the Hero: Religious Organization of Minorities and Sects in the Arab World, Dar Al-Jamea Center for Printing and Publishing, Beirut, 1989, p. 115.

xxxii. Dr. Mustafa Hijazi, Social Retardation: An Introduction to the Psychology of the Defeated Man, Institute for Arab Development, Beirut 1976, p. 43 and compare with Dr. Turki Al-Hamad, Ideological Studies in the Arab Case, Dar Al-Tale'ah, Beirut 1992, p. 112

xxxiii. Saad Muhammad Hassan, The Low Social View among Iraqis: Iraqi society and a culture of hatred in the context of meaning and historical and modern cultural and societal motives. The site of civilized dialogue on 6-12-2014.

xxxiv. Dr. Fuad Ishaq Al-Khoury, previously mentioned p. 101

xxxv. Dr. Khushaba Hanna Al-Sheikh, Christianity in Iraq, Atyaf Magazine, No. 1, Al-Ishraq Center for Studies and Research, Baghdad 2009, p. 75

xxxvi. Dr. Fouad Ishaq Al-Khoury, a previously mentioned source, pp. 117-118

xxxvii. Dr. Dham Muhammad al-Azzawi, Christians of Iraq, a previously mentioned source, p. 21

xxxviii. Dr. Al-Sadiq Shaaban, The Political Rights of Arab Constitutions, The Arab Future Magazine, Issue 106, Beirut, December 1987, pp. 5-10.

xxxix. Iraq Christians: Forgotten in alienation, strangers at home, www.dw.com Culture and Society website, published September 2013.

xl. Mahmoud Jabbar, The Atrocities of Capturing the Yazidis in Iraq, Al-Arabi Al-Jadeed Newspaper, published on August 30, 2018.